

تفسير سورة القمر

ويقال : سورة اقتربت ، وهى خمس وخمسون آية . وهى مكية كلها فى قول الجمهور . وقال مقاتل : هى مكية إلا ثلاث آيات من قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدهى وَأَمْرٌ ﴾ قال القرطبى : ولا يصح^(١) . وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والنحاس ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس أنها نزلت بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج البيهقى فى الشعب عن ابن عباس قال : اقتربت تدعى فى التوراة الميضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه . قال البيهقى : منكر^(٢) . وأخرج ابن الضريس عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى فروة رفعه : « من قرأ اقتربت الساعة فى كل ليلتين بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر » . وأخرج ابن الضريس نحوه عن ليث بن معن عن شيخ من همدان رفعه ، وقد تقدم أن النبى ﷺ كان يقرأ بـ ﴿ ق ﴾ و ﴿ اقتربت الساعة ﴾ فى الأضحى والفطر .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ^(١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ^(٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ^(٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ^(٤) حَكَمَةً بَالِغَةً فَمَا تَغْنِ الْنَذَرُ ^(٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ^(٦) خُشْعًا أَبْصَارَهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ^(٧) مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ^(٨) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ^(٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ^(١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ^(١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ^(١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ^(١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ^(١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ^(١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرٍ ^(١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ^(١٧) ﴾

قوله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ أى قربت ولا شك أنها قد صارت باعتبار نسبة ما بقى بعد قيام النبوة المحمدية إلى ما مضى من الدنيا قريبة . ويمكن أن يقال : إنها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة ، فكل آت قريب ﴿ وانشق القمر ﴾ أى وقد انشق القمر وكذا قرأ حذيفة بزيادة « قد » ، والمراد : الانشقاق الواقع فى أيام النبوة معجزة لرسول الله ﷺ ،

(١) القرطبى ٩ / ٦٢٩٥ .

(٢) البيهقى فى الشعب (٢٢٦٦) تفرد به محمد بن عبد الرحمن عن سليمان وهو منكر ، وإسناده ضعيف .

وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف . قال الواحدي : وجماعة المفسرين على هذا ، إلا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال : المعنى : سينشق القمر ، والعلماء كلهم على خلافه ، قال : وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر ؛ لأن انشقاقه من علامات نبوة محمد ﷺ ونبوته وزمانه من أشراط اقتراب الساعة ، قال ابن كيسان : في الكلام تقديم وتأخير ، أى انشق القمر واقتربت الساعة ، وحكى القرطبي عن الحسن مثل قول عطاء أنه الانشقاق الكائن يوم القيامة . وقيل : معنى ﴿ انشق القمر ﴾ : وضع الأمر وظهر ، والعرب تضرب بالقمر المثل فيما وضع . وقيل : انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه وطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلما لانفلاق الظلمة عنه . قال ابن كثير : قد كان الانشقاق في زمان رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . قال : وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات^(١) . قال الزجاج : زعم قوم عندوا عن القصد وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة . والأمر بين في اللفظ واجتماع أهل العلم ؛ لأن قول : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ يدل على أن هذا كان في الدنيا لا في القيامة . انتهى . ولم يأت من خالف الجمهور وقال إن الانشقاق سيكون يوم القيامة إلا بمجرد استبعاد ، فقال : لأنه لو انشق في زمن النبوة لم يبق أحد إلا رآه لأنه آية ، والناس في الآيات سواء ، ويحاج بأنه لا يلزم أن يراه كل أحد لا عقلا ولا شرعا ولا عادة ، ومع هذا فقد نقل إلينا بطريق التواتر ، وهذا بمجرد دفع الاستبعاد ، ويضرب به وجه قائله .

والحاصل أننا إذا نظرنا إلى كتاب الله ، فقد أخبرنا بأنه انشق ، ولم يخبرنا بأنه سينشق ، وإن نظرنا إلى سنة رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوة ، وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ، ولا يلتفت إلى شذوذ من شذو واستبعاد من استبعد ، وسيأتي ذكر بعض ما ورد في ذلك إن شاء الله .

﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ قال الواحدي : قال المفسرون : لما انشق القمر قال المشركون : سحرنا محمد ، فقال الله : ﴿ وإن يروا آية ﴾ يعنى انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق والإيمان بها ، ويقولوا : سحر قوى شديد يعلو كل سحر ، من قولهم : استمر الشيء إذا قوى واستحكم ، وقد قال بأن معنى ﴿ مستمر ﴾ : قوى شديد جماعة من أهل العلم . قال الأخفش : هو مأخوذ من إمرار الحبل ، وهو شدة قتله ، وبه قال أبو العالية والضحاك ، واختاره النحاس ، ومنه قول لقيط :

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرِّ لَا يَزْنَهُ صِدْقُ الْعَزِيمَةِ لَا رِثَا وَلَا ضَرَعَا

وقال الفراء والكسائي وأبو عبيدة : ﴿ سحر مستمر ﴾ أى ذاهب ، من قولهم : مر الشيء واستمر إذا ذهب ، وبه قال قتادة ومجاهد وغيرهما ، واختاره النحاس ، وقيل : معنى ﴿ مستمر ﴾ : دائم مطرد ، ومنه قول الشاعر :

ألا إنما الدنيا ليالٍ وأعصر وليس على شيء قديم بمستمّر

أى بدائهم باق . وقيل : ﴿ مستمّر ﴾ : باطل ، روى هذا عن أبى عبيدة أيضاً . وقيل : يشبه بعضه بعضاً . وقيل : قد مرّ من الأرض إلى السماء . وقيل : هو من المראה ، يقال : مرّ الشيء صار مرّاً ، أى مستبشعاً عندهم . وفى هذه الآية أعظم دليل على أن الانشقاق قد كان كما قررناه سابقاً . ثم ذكر سبحانه تكذيبهم فقال : ﴿ وكذبوا واتبعوا أهواءهم ﴾ أى وكذبوا رسول الله ، وما عاينوا من قدرة الله ، واتبعوا أهواءهم وما زينه لهم الشيطان الرجيم ، وجملة : ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ مستأنفة لتقدير بطلان ما قالوه من التكذيب واتباع الأهواء ، أى وكل أمر من الأمور منته إلى غاية ، فالخير يستقر بأهل الخير ، والشر يستقر بأهل الشر ، قال الفراء : يقول : يستقر قرار تكذيبهم ، وقرار قول المصدقين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب . قال الكلبي : المعنى : لكل أمر حقيقة ما كان منه فى الدنيا فيظهر ، وما كان منه فى الآخرة فيسيعرف ، قرأ الجمهور : ﴿ مستقر ﴾ بكسر القاف ، وهو مرتفع على أنه خبر المبتدأ وهو « كل » ، وقرأ أبو جعفر وزيد بن على بجر « مستقر » على أنه صفة لـ ﴿ أمر ﴾ ، وقرأ شيبة بفتح القاف ، ورويت هذه القراءة عن نافع ، قال أبو حاتم : ولا وجه لها . وقيل : لها وجه بتقدير مضاف محذوف ، أى وكل أمر ذو استقرار ، أو زمان استقرار ، أو مكان استقرار ، على أنه مصدر أو ظرف زمان ، أو ظرف مكان .

﴿ ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر ﴾ أى ولقد جاء كفار مكة ، أو الكفار على العموم من الأنبياء ، ومن أخبار الأمم المكذبة المقصودة علينا فى القرآن ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ أى ازدجار على أنه مصدر ميميّ ، يقال : زجرته : إذا نهيته عن السوء ووعظته ، ويجوز أن يكون اسم مكان ، والمعنى : جاءهم ما فيه موضع ازدجار ، أى أنه فى نفسه موضع لذلك ، وأصله : مزججر ، « وتاء » الافتعال تقلب دالا مع الزاى والذال والذال كما تقرر فى موضعه ، وقرأ زيد بن على : « مزجر » بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاى فى الزاى ، و « من » فى قوله : ﴿ من الأنبياء ﴾ للتبعض ، وهى وما دخلت عليه فى محل نصب على الحال ، وارتفاع ﴿ حكمة بالغة ﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف أو بدل من « ما » بدل كل من كل ، أو بدل اشتمال ، والمعنى : أن القرآن حكمة قد بلغت الغاية ليس فيها نقص ولا خلل ، وقرئ بالنصب على أنها حال من « ما » ، أى حال كون ما فيه مزدجر حكمة بالغة ﴿ فما تغن النذر ﴾ « ما » يجوز أن تكون استفهامية ، وأن تكون نافية ، أى أى شيء تغنى النذر أو لم تغن النذر شيئا ، والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجيء الحكمة البالغة ، والنذر جمع نذير بمعنى : النذر ، أو معنى : الإنذار على أنه مصدر .

ثم أمره الله سبحانه بالإعراض عنهم فقال : ﴿ فتولّ عنهم ﴾ أى أعرض عنهم حيث لم يؤثر فيهم الإنذار ، وهى منسوخة بآية السيف . ﴿ يوم يدع الداع إلى شيء نكر ﴾ انتصاب الظرف إما بفعل مقدّر ، أى اذكر ، وإما بـ ﴿ يخرجون ﴾ المذكور بعده ، وإما

بقوله : ﴿ فَمَا تَعْنِ ﴾ ، ويكون قوله : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ اعتراضاً ، أو بقوله : ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ ﴾ أو بقوله : ﴿ خَشَعَا ﴾ وسقطت الواو من ﴿ يدع ﴾ اتباعاً للفظ ، وقد وقعت في الرسم هكذا وحذفت الياء من الداع للتخفيف واكتفاء بالكسرة ، والداع : هو إسرافيل ، والشئ النكر : الأمر الفطيع الذى ينكرونه استعظاما له لعدم تقدّم العهد لهم بمثله . قرأ الجمهور بضم الكاف ، وقرأ ابن كثير بسكونها تخفيفاً . وقرأ مجاهد وقناة بكسر الكاف وفتح الراء على صيغة الفعل المجهول . ﴿ خَشَعَا أَبْصَارَهُمْ ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ خَشَعَا ﴾ جمع خاشع ، وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو : « خاشعاً » على الإفراد ، ومنه قول الشاعر :

وَشَبَّابَ حَسَنٍ أَوْجَهُهُمْ مِنْ إِسَادِ بْنِ نِزَارٍ بِنِ مَعَدٍ

وقرأ ابن مسعود : « خاشعة » قال الفراء : الصفة إذا تقدمت على الجماعة جاز فيها التذكير والتأنيث والجمع ، يعنى : جمع التكسير لا جمع السلامة ، لأنه يكون من الجمع بين فاعلين ، ومثل قراءة الجمهور قول امرئ القيس .

وقفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وانتصاب ﴿ خَشَعَا ﴾ على الحال من فاعل يخرجون ، أو من الضمير فى ﴿ عَنْهُمْ ﴾ . والخشوع فى البصر : الخضوع والذلة ، وأضاف الخشوع إلى الأبصار لأن العز والذل يتبين فيها ﴿ يخرجون من الأحداث كأنهم جراد منتشر ﴾ أى يخرجون من القبور ، وواحد الأجداث : جدث وهو القبر ، كأنهم لكثرتهم واختلاط بعضهم ببعض جراد منتشر . أى منبت فى الاقطار مختلط بعضه ببعض . ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ الإهطاع : الإسراع ، أى قال كونهم مسرعين إلى الداع ، وهو إسرافيل ، ومنه قول الشاعر :

بِدَجَلَةٍ دَارَهُمْ وَلَقَدْ أَرَاهُمْ بِدَجَلَةٍ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ

أى مسرعين إليه ، وقال الضحّاك : مقبلين ، وقال قتادة : عامدين ، وقال عكرمة : فاتحين آذانهم إلى الصوت ، والأول أولى ، وبه قال أبو عبيدة وغيره ، وجملة : ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسَر ﴾ فى محل نصب على الحال من ضمير ﴿ مهطعين ﴾ ، والرابط مقدر أو مستأنفة جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : فماذا يكون حيثئذ ، والعسر : الصعب الشديد ، وفى إسناد هذا القول إلى الكفار دليل على أن اليوم ليس بشديد على المؤمنين . ثم ذكر سبحانه تفصيل بعض ما تقدّم من الأنباء المجملة فقال : ﴿ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمَ نوح ﴾ أى كذبوا نبيهم ، وفى هذا تسليّة لرسول الله ﷺ ، وقوله : ﴿ فَكُذِّبُوا عَبْدَنَا ﴾ تفسير لما قبله من التكذيب المبهم ، وفيه مزيد تقدير وتأکید ، أى فكذبوا عبدنا نوحا . وقيل : المعنى : كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا نوحا بتكذيبهم للرسول فإنه منهم . ثم بين سبحانه أنهم لم يقتصروا على مجرد التكذيب فقال : ﴿ وَقَالُوا مَجْنُون ﴾ أى نسبوا نوحا إلى الجنون وقوله : ﴿ وَازْدَجَر ﴾ معطوف على قالوا ، أى وزجر عن دعوى النبوة وعن تبليغ ما أرسل به بأنواع الزجر ، والدال بدل من

تاء الافتعال كما تقدّم قريباً . وقيل : إنه معطوف على ﴿مجنون﴾ أى وقالوا : إنه ازدجر . أى ازدجرتة الجن وذهبت بلبه ، والأول أولى . قال مجاهد : هو من كلام الله سبحانه أخبر عنه بأنه انتهز وزجر بالسب وأنواع الأذى . قال الرازى : وهذا أصح ؛ لأن المقصود : تقوية قلب النبى ﷺ بذكر من تقدّمه .

﴿ فذعاً ربه أنى مغلوب فانتصر ﴾ أى دعا نوح ربه على قومه بأنى مغلوب من جهة قومى لتمردهم على الطاعة وزجرهم لى عن تبليغ الرسالة ، فانتصر لى ، أى انتقم لى منهم ، طلب من ربه سبحانه النصرة عليهم لما أيس من إجابتهم وعلم تمردهم وعتوّهم وإصرارهم على ضلالتهم ، قرأ الجمهور : ﴿ أنى ﴾ بفتح الهمزة . أى بأنى . وقرأ ابن أبى إسحاق والأعمش بكسر الهمزة ، ورويت هذه القراءة عن عاصم على تقدير إضمار القول ، أى فقال . ثم ذكر سبحانه ما عاقبهم به فقال . ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ أى منصبّ انصباباً شديداً ، والهمر الصبّ بكثرة ، يقال : همر الماء والدمع يهمر همرا وهمورا : إذا كثر ، ومنه قول الشاعر :

أعني جوداً بالدموع الهوامر على خير يادٍ من معدٍّ وحاضِرٍ
ومنه قول امرئ القيس يصف عينا :
رَاحَ تَمَرُ به الصَّبَا ثم انْتَحَى فيه شُؤْبُوبٌ^(١) جَنُوبٌ مُنْهَمِرٍ

قرأ الجمهور : ﴿ ففتحنا ﴾ مخففاً ، وقرأ عامر ويعقوب بالتشديد . ﴿ وفجرنا الأرض عيوناً ﴾ أى جعلنا الأرض كلها عيوناً متفجرة ، والأصل : فجرنا عيون الأرض ، قرأ الجمهور : ﴿ ففجرنا ﴾ بالتشديد ، وقرأ ابن مسعود وأبو حيوه وعاصم فى رواية عنه بالتخفيف ، قال عبيد ابن عمير : أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها فتفجرت بالعيون . ﴿ فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ أى التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قضى عليهم ، أى كائناً على حال قدرها الله وقضى بها ، وحكى ابن قتية أن المعنى على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر ، بل كان ماء السماء وماء الأرض على سواء . قال قتادة : قدر لهم إذ كفروا أن يغرقوا ، وقرأ الجحدري : « فالتقى الماءان » وقرأ الحسن : « فالتقى الماوان » ورويت هذه القراءة عن على بن أبى طالب ومحمد بن كعب : ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ أى وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح ، وهى الأخشاب العريضة ﴿ ودسر ﴾ قال الزجاج : هى المسابير التى تشدّ بها الألواح واحدها : دسار ، وكل شىء أدخل فى شىء يشدّه فهو الدسر ، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب وابن زيد وسعيد بن جببر وغيرهم . وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة : الدسر : ظهر السفينة التى يضربها الموج ، سميت بذلك لأنها تدسر الماء ، أى تدفعه ، والدسر : الدفع . وقال الليث : الدسار : خيط تشدّ به ألواح السفينة . قال فى

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

الصحاح : الدسار : واحد الدسر وهى خيوط تشدّ بها ألواح السفينة ، ويقال : هى المسامير .
﴿ تجرى بأعيننا ﴾ أى بمنظر ومرأى منا وحفظ لها كما فى قوله : ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ [هود : ٣٧] . وقيل : بأمرنا . وقيل : بوحينا . وقيل : بالأعين التابعة من الأرض . وقيل : بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ قال الفراء : فعلنا به وبهم ما فعلنا من إغوائه وإغراقهم ثوابا لمن كفر به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام ، فإنه كان لهم نعمة كفروها فانتصاب ﴿ جزاء ﴾ على العلة ، وقيل : على المصدرية بفعل مقدّر ، أى جازيناهم جزاء . قرأ الجمهور : ﴿ كفر ﴾ مبني للمفعول ، والمراد به : نوح . وقيل : هو الله سبحانه ، فإنهم كفروا به وجحدوا نعمته ، وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحيد وعيسى : « كفر » بفتح الكاف والفاء مبني للفاعل ، أى جزاء وعقابا لمن كفر بالله .

﴿ ولقد تركناها آية ﴾ أى السفينة تركها الله عبرة للمعتبرين . وقيل : المعنى : ولقد تركنا هذه الفعلة التى فعلناها بهم عبرة وموعظة . ﴿ فهل من مذكر ﴾ أصله : مذكر ، فأبدلت التاء دالا مهملة ، ثم أبدلت المعجمة مهملة لتقاربهما وأدغمت الدال فى الذال والمعنى : هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها . ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ﴾ أى إنذارى . قال الفراء : الإنذار والنذر مصدران ، والاستفهام للتهويل والتعجيب ، أى كانا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف . وقيل : نذر جمع نذير ، ونذير بمعنى الإنذار ، كنكير : بمعنى الإنكار . ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ أى سهلناه للحفظ . وأعنا عليه من أراد حفظه . وقيل : هيأناه للتذكر والاتعاظ ﴿ فهل من مذكر ﴾ أى متعظ بمواعظه ومعتبر بعبره ، وفى الآية الحث على درس القرآن والاستكثار من تلاوته والمسارة فى تعلمه ، ومذكر أصله : مذكر كما تقدّم قريبا .

وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس ؛ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما . وروى عنه من طريق أخرى عند مسلم والترمذى وغيرهم وقال : فنزلت : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (١) . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه . فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا » (٢) .

وأخرج عبد بن حميد ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عنه قال : رأيت القمر منشقا شقتين مرتين : مرة بمكة قبل أن يخرج النبى ﷺ : شقة على أبى قبيس ،

(١) البخارى فى مناقب الأنصار (٣٨٦٨) ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨٠٢ / ٤٦) والترمذى فى التفسير (٣٢٨٦) والنسائى فى التفسير (٥٧٤) .

(٢) البخارى فى المناقب (٣٦٣٦) وفى مناقب الأنصار (٣٨٦٩ ، ٣٨٧١) وفى التفسير (٤٨٦٤ ، ٤٨٦٥) ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨٠٠ / ٤٣ — ٤٥) والترمذى فى التفسير (٣٢٨٧ ، ٣٢٨٥) والنسائى فى التفسير (٥٧٢ ، ٥٧٣) .

وشقة على السويداء ، وذكر أن هذا سبب نزول الآية (١). وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه وأبو نعيم عنه أيضا قال : رأيت القمر وقد انشق ، وأبصرت الجبل بين فرجتي القمر ، وله طرق عنه . وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمن النبي ﷺ وله طرق عنه . وأخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن ابن عمر في قوله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ قال : كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فرقتين : فرقة من دون الجبل ، وفرقة خلفه ، فقال النبي ﷺ : « اللهم اشهد » (٢). وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن جبير بن مطعم عن أبيه في قوله : ﴿ وانشق القمر ﴾ قال : انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل . فقال الناس : سحرنا محمد فقال رجل : إن كان سحركم فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم (٣) .

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم عن عبد الرحمن السلمي قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمذائن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ، ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، اليوم المضمار ، وغدا السباق .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ مهطعين ﴾ قال : ناظرين . وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه : ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ قال : كثير : لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماءان . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا : ﴿ على ذات ألواح ودسر ﴾ قال : الألواح ألواح السفينة ، والدسر : معارضها التي تشد بها السفينة . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أيضا في قوله : ﴿ ودسر ﴾ قال : المسامير . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه قال : الدسر كل كل السفينة . وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عنه أيضا في قوله : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ قال : لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلموا بكلام الله . وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً مثله . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس ﴿ فهل من مدكر ﴾ قال : هل من متذكر .

(١) صححه الحاكم ٢ / ٤٧١ على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي وقال : « أصله في الكتابين » والبيهقي في الدلائل ٢ / ٢٦٥ .

(٢) مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨٠ / ٤٥) والترمذي في التفسير (٣٢٨٨) وابن جرير ٢٧ / ٥٠ وأبو نعيم في الدلائل ص ٢٣٤ .

(٣) أحمد ٤ / ٨٢ والترمذي في التفسير (٣٢٨٩) وابن جرير ٢٧ / ٥١ وصححه الحاكم ٢ / ٤٧٢ على شرط الشيخين وقال الذهبي : « كلها صحاح » ، والبيهقي في الدلائل ٢ / ٢٦٨ .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ
نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّتَقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ (٢١)
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذْرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا
نَّبِئْهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ صِلَالٍ وَسَعُرٍ (٢٤) أُولَئِكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ (٢٥)
سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْأَشْرِ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ (٢٧)
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩)
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ
أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنَذِيرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ (٤٠) ﴾

قوله : ﴿ كذبت عاد ﴾ هم قوم عاد ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أى فاسمعوا كيف كان
عذابي لهم وإنذارى إياهم ، ونذر مصدر بمعنى إنذار كما تقدم تحقيقه ، والاستفهام للتحويل
والتعظيم ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ هذه الجملة مبينة لما أجمله سابقا من العذاب .
والصرصر : شدة البرد ، أى ريح شديدة البرد . وقيل : الصرصر : شدة الصوت ، وقد تقدم
بيانه فى سورة حم السجدة ﴿ فى يوم نحس مستمر ﴾ أى دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه ،
وقد كانوا يتشاءمون بذلك اليوم ، قال الزجاج : قيل : فى يوم الأربعاء فى آخر الشهر . قرأ
الجمهور : ﴿ فى يوم نحس ﴾ بإضافة ﴿ يوم ﴾ إلى ﴿ نحس ﴾ مع سكون الحاء وهو من إضافة
الموصوف إلى الصفة ، أو على تقدير مضاف ، أى فى يوم عذاب نحس . وقرأ الحسن بتنوين
«يوم» على أن ﴿نحس﴾ صفة له ، وقرأ هارون بكسر الحاء ، قال الضحاك : كان ذلك اليوم
مرًّا عليهم ، وكذا حكى الكسائى عن قوم أنهم قالوا : هو من المرارة ، وقيل : هو من المرّة
بمعنى : القوة ؛ أى فى يوم قوى الشؤم مستحكمه ، كالشيء المحكم القتل الذى لا يطاق نقضه ،
والظاهر أنه من الاستمرار لا من المرارة ولا من المرّة ، أى دام عليهم العذاب فيه حتى أهلكهم ،
وشمل بهلاكه كبيرهم وصغيرهم .

وجملة : ﴿ تنزع الناس ﴾ فى محل نصب على أنها صفة لـ ﴿ ريعا ﴾ أو حال منها ، ويجوز أن تكون استئنفا ، أى تقلعهم من الأرض من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها . قال مجاهد : كانت تقلعهم من الأرض فترمى بهم على رؤوسهم فتدق أعناقهم وتبين رؤوسهم من أجسادهم . وقيل : تنزع الناس من البيوت . وقيل : من قبورهم لأنهم حفروا حفائر ودخلوها ﴿ كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ الأعجاز : جمع عجز ، وهو مؤخر الشيء ، والمنقعر : المنقطع المنقلع من أصله ، يقال : قعرت النخلة : إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط ، شبههم فى طول قاماتهم حين صرعتهم الريح ، وطرحتهم على وجوههم ، بالنخل الساقط على الأرض التى ليست لها رؤوس ، وذلك أن الريح قلعت رؤوسهم أولا ثم كتبتهم ^(١) على وجوههم وتذكير منقعر مع كونه صفة لأعجاز نخل وهى مؤنثة اعتبارا باللفظ ويجوز تأنيثه اعتبارا بالمعنى ، كما قال : ﴿ أعجاز نخل خاوية ﴾ [الحاقة : ٧] قال المبرد : كل ما ورد عليك من هذا الباب إن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرا أو إلى المعنى تأنيثا . وقيل : إن النخل والنخيل يذكر ويؤنث ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ قد تقدم تفسيره قريبا ، وكذلك قوله : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ .

ثم لما ذكر سبحانه تكذيب عاد أتبعه بتكذيب ثمود ، فقال : ﴿ كذبت ثمود بالنذر ﴾ يجوز أن يكون جمع نذير ، أى كذبت بالرسل المرسلين إليهم ، ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الإنذار ، أى كذبت بالإنذار الذى أنذروا به ، وإنما كان تكذيبهم لرسولهم وهو صالح تكذيبا للرسل ، لأن من كذب واحدا من الأنبياء فقد كذب سائرهم ، لاتفاقهم فى الدعوة إلى كليات الشرائع ﴿ فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه ﴾ الاستفهام للإنكار ، أى كيف نتبع بشرا كائنا من جنسنا منفردا وحده لا متابع له على ما يدعو إليه ؟ قرأ الجمهور : بنصب ﴿ بشرا ﴾ على الاشتغال ، أى أتتبع بشرا واحدا . وقرأ أبو السمال والدانى وأبو الأشهب وابن السميع بالرفع على الابتداء ، و ﴿ واحدا ﴾ صفة ، و ﴿ نتبعه ﴾ خبره ، وروى عن أبى السمال أنه قرأ برفع ﴿ بشرا ﴾ ونصب ﴿ واحدا ﴾ على الحال ﴿ إنا إذا لقي ضلال ﴾ أى إنا إذا اتبعناه لقي خطأ وذهاب عن الحق ﴿ وسعر ﴾ أى عذاب وعناء وشدة كذا قال الفراء وغيره ، وقال أبو عبيدة : هو جمع سكير ، وهو لهب النار ، والسعر : الجنون يذهب كذا وكذا لما يلتهب به من الحدة . وقال مجاهد : ﴿ وسعر ﴾ وبعد عن الحق . وقال السدى : فى احتراق . وقيل : المراد به هنا : الجنون ، من قولهم : ناقة مسعورة ، أى كأنها من شدة نشاطها مجنونة ، ومنه قول الشاعر يصف ناقة :

تَخَالُ بِهَا سَعْرًا إِذَا السَّعْرُ هَزَّهَا ذَمِيلٌ ^(٢) وَإِقْصَاعٌ مِنَ السَّيْرِ مُتَعِبٌ

ثم كرروا الإنكار والاستبعاد فقالوا : ﴿ ألقى الذكر عليه من بيننا ﴾ أى كيف خص من

(١) فى المطبوعة : « كتبتهم » ، والصواب ما أثبتناه من المخطوطة .

(٢) الذميل : ضرب من سير الإبل السريع .

بيننا بالوحي والنبوة وفينا من هو أحقّ بذلك منه ؟ ثم أضربوا عن الاستنكار وانتقلوا إلى الجزم بكونه كذاباً آشراً ، فقالوا : ﴿ بل هو كذاب آشراً ﴾ . والأشّر : المرح والنشاط ، أو البطر والتكبر ، وتفسيره بالبطر والتكبر أنسب بالمقام ، ومنه قول الشاعر :

أشّرتم بلبس الخنزّر لما لبستم
ومن قبل لا تدرون من فتح القرى

قرأ الجمهور : ﴿ آشراً ﴾ كفرح ، وقرأ أبو قلابة وأبو جعفر بفتح الشين وتشديد الراء على أنه أفعل تفضيل . ونقل الكسائي عن مجاهد أنه قرأ بضم الشين مع فتح الهمزة . ثم أجاب سبحانه عليهم بقوله : ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشّر ﴾ والمراد بقوله : ﴿ غدا ﴾ : وقت نزول العذاب بهم فى الدنيا ، أو فى يوم القيامة جرئاً على عادة الناس فى التعبير بالغد عن المستقبل من الأمر وإن بعد ، كما فى قولهم : إن مع اليوم غداً ، وكما فى قول الحطيئة :

للموت فيها سهامٌ غيرٌ مخطئة
من لم يكن ميّتاً فى اليوم مات غداً
ومنه قول أبى الطرّمّاح :

ألا علّانى قبل نوح النوائح
وقبل اضطراب النفس بين الجوائح
وقبل غدٍ يالهف نفسى على غدٍ
إذا راح أصحابى ولست براح

قرأ الجمهور : ﴿ سيعلمون ﴾ بالتحية إخبار من الله سبحانه لصالح عن وقوع العذاب عليهم بعد مدة ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة بالفوقية على أنه خطاب من صالح لقومه . وجملة : ﴿ إنا مرسلو الناقة ﴾ مستأنفة لبيان ما تقدّم إجماله من الوعيد ، أى إنا مخرجوها من الصخرة على حسب ما اقترحوه ﴿ فتنة لهم ﴾ أى ابتلاء وامتحاناً ، وانتصاب ﴿ فتنة ﴾ على العلة ﴿ فارتقبهم ﴾ أى انتظر ما يصنعون ﴿ واصطبر ﴾ على ما يصيبك من الأذى منهم . ﴿ ونبتهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ أى بين ثمود وبين الناقة ، لها يوم ولهم يوم ، كما فى قوله : ﴿ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ [الشعراء : ١٥٥] وقال : ﴿ نبتهم ﴾ بضمير العقلاء تغليبا . ﴿ كل شرب محتضر ﴾ الشرب بكسر الشين : الحظ من الماء ، ومعنى ﴿ محتضر ﴾ : أنه يحضره من هوله ، فالناقة تحضره يوماً وهم يحضرونه يوماً ، قال مجاهد : إن ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم ، فيشربون ويحضرون يوم نوبتها فيحتلبون . قرأ الجمهور : ﴿ قسمة ﴾ بكسر القاف بمعنى : مقسوم ، وقرأ أبو عمرو فى رواية عنه بفتحها ، ﴿ فنادوا صاحبهم ﴾ أى نادى ثمود صاحبهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة يحضونه على عقرها ﴿ فتعاطى فعقر ﴾ أى تناول الناقة بالعقر فعقرها ، أو اجترأ على تعاطى أسباب العقر فعقر . قال محمد بن إسحاق : كمن لها فى أصل شجرة على طريقها ، فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ، ثم شدّ عليها بالسيف فكسر عرقوبها ثم نحرها ، والتعاطى : تناول الشيء

بتكلف ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ قد تقدّم تفسيره فى هذه السورة . ثم بين ما أجمله من العذاب فقال : ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ﴾ قال عطاء : يريد صيحة جبريل ، وقد مضى بيان هذا فى سورة هود وفى الأعراف ﴿ فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ قرأ الجمهور بكسر الظاء ، والهشيم : حطام الشجر ويابس ، والمحتظر : صاحب الحظيرة ، وهو الذى يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها عن برد الرّيح ، يقال : احتظر على غنمه : إذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض . قال فى الصحاح : والمحتظر : الذى يعمل الحظيرة ، وقرأ الحسن وقناة وأبو العالية بفتح الظاء ، أى كهشيم الحظيرة ، فمن قرأ بالكسر أراد الفاعل للاحتظار ، ومن قرأ بالفتح أراد الحظيرة ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، ومعنى الآية أنهم صاروا كالشجر إذا يبس فى الحظيرة وداسته الغنم بعد سقوطه ، ومنه قول الشاعر :

أثرن عجاجة كدخان نار تشب بغرقد بال هشيم

وقال قتادة : هو العظام النخرة المحترقة ، وقال سعيد بن جبير : هو التراب المتناثر من الحيطان فى يوم ريح ، وقال سفيان الثورى : هو ما يتناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصى ، قال ابن زيد : العرب تسمى كلّ شيء كان رطباً فيس هشيماً ، ومنه قول الشاعر :

ترى جيف المطىّ بجانيبه كأن عظامها خشب الهشيم

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ قد تقدّم تفسير هذا فى هذه السورة . ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط بأنهم كذبوا رسل الله كما كذبهم غيرهم ، فقال : ﴿ كذبت قوم لوط بالنذر ﴾ وقد تقدّم تفسير النذر قريباً . ثم بين سبحانه ما عذبهم به فقال : ﴿ إنا أرسلنا عليهم حصباً ﴾ أى ريحا ترميهم بالحصباء ، وهى الحصا . قال أبو عبيدة والنضر بن شميل : الحاصب : الحجارة فى الريح . قال فى الصحاح : الحاصب : الريح الشديدة التى تثير الحصباء ، ومنه قول الفرزدق :

مستقبلين شمال الشام يضربها بحاصب كنديف القطن منشور

﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ يعنى : لوطاً ومن تبعه ، والسحر : آخر الليل . وقيل : هو فى كلام العرب اختلاط سواد الليل بيباض أوّل النهار ، وانصرف ﴿ سحر ﴾ لأنه نكرة لم يقصد به سحر ليلة معينة ، ولو قصد معينا لامتنع ، كذا قال الزجاج والأخفش وغيرهما ، وانتصاب ﴿ نعمة من عندنا ﴾ على العلة ، أو على المصدرية ، أى إنعاماً منا على لوط ومن تبعه . ﴿ كذلك نجزي من شكر ﴾ أى مثل ذلك الجزاء نجزي من شكر نعمتنا ولم يكفرها . ﴿ ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ أى أنذر لوط وقومه بطشة الله بهم ، وهى عذابه الشديد وعقوبته البالغة ، ﴿ فتماروا بالنذر ﴾ أى شكوا فى الإنذار ولم يصدقوه ، وهو تفاعلوا من المرية وهى الشك . ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ أى أرادوا منه تمكينهم من أناه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دأبهم ، يقال : راودته عن كذا مراودة وروادا ، أى أردته ، وراود الكلام يروده رودا ،

أى : طلبه ، وقد تقدم تفسير المراودة ، مستوفى فى سورة يوسف ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ أى صيرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شق كما تطمس الريح الأعلام بما تسفى عليها من التراب ، وقيل : أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها . قال الضحاك : طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل فرجعوا ﴿ فذوقوا عذابي ونذر ﴾ قد تقدم تفسيره فى هذه السورة .
﴿ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴾ أى أتاها صبحا عذاب مستقر بهم نازل عليهم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم . قال مقاتل : استقر بهم العذاب بكرة ، وانصرف ﴿ بكرة ﴾ لكونه لم يرد بها وقتا بعينه كما سبق فى ﴿ بسحر ﴾ . ﴿ فذوقوا عذابي ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ قد تقدم تفسير هذا فى هذه السورة ، ولعل وجه تكرير تيسير القرآن للذكر فى هذه السورة الإشعار بأنه منة عظيمة لا ينبغي لأحد أن يغفل عن شكرها .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ قال : باردة ﴿ فى يوم نحس ﴾ قال : أيام شداد . وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم الأربعاء يوم نحس مستمر » (١) . وأخرجه عنه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعا . وأخرجه ابن مردويه عن على مرفوعا (٢) . وأخرج ابن مردويه أيضا عن أنس مرفوعا ، وفيه قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : أغرق الله فيه فرعون وقومه ، وأهلك فيه عادا وثمود (٣) . وأخرج ابن مردويه والخطيب بسند ، قال السيوطى : ضعيف ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر » (٤) .

وأخرج ابن المنذر عنه : ﴿ كأنهم أعجاز نخل ﴾ قال : أصول النخل ﴿ منقعر ﴾ قال : منقلع . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا فى الآية قال : أعجاز سواد النخل . وأخرج ابن المنذر عنه أيضا : ﴿ وسعر ﴾ قال : شقاء . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أيضا قال : ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ قال : كحظائر من الشجر محترقة . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى الآية قال : كالعظام المحترقة . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه قال : كالحشيش تأكله الغنم .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ (٤٢) أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ (٤٤) ﴾

(١) الموضوعات لابن الجوزى ٢ / ٧٤ وفيه : « فلم يروه إلا إبراهيم بن أبى حية . قال الدارقطنى : وهو متروك » . وقال الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٤٣٨ : « موضوع » .

(٢) كشف الخفاء للعلجلونى (٣٢٥٥) وقال : « أخرجه ابن مردويه فى التفسير بأسانيد واهية عن على وأنس » .
(٣) انظر سابقه .

(٤) الموضوعات لابن الجوزى ٢ / ٧٣ « وفى سنده . مسلمة بن الصلت . قال أبو حاتم الرازى : هو متروك الحديث » .

سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴿

﴿النذر﴾ يجوز أن يكون جمع نذير ، ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى : الإنذار كما تقدم . وهى الآيات التى أنذرتهم بها موسى ، وهذا أولى لقوله : ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ فإنه بيان لذلك ، والمراد بها : الآيات التسع التى تقدم ذكرها ﴿ فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ أى أخذناهم بالعذاب أخذ غالب فى انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه شيء . ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال : ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ﴾ والاستفهام للإنكار ، والمعنى النفى ، أى ليس كفاركم يا أهل مكة ، أو يا معشر العرب خيراً من كفار من تقدمكم من الأمم الذين أهلكوا بسبب كفرهم . فكيف تطمعون فى السلامة من العذاب وأنتم شر منهم . ثم أضرب سبحانه عن ذلك وانتقل إلى تبييتهم بوجه آخر هو أشد من التبييت بالوجه الأول فقال : ﴿ أم لكم براءة فى الزبر ﴾ والزبر هى الكتب المنزلة على الأنبياء . والمعنى : إنكار أن تكون لهم براءة من عذاب الله فى شيء من كتب الأنبياء . ثم أضرب عن هذا التبييت وانتقل إلى التبييت لهم بوجه آخر فقال : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ أى جماعة لا تطاق لكثرة عدونا وقوتنا ، أو أمرنا مجتمع لا تغلب . وأفرد منتصرا اعتبارا بلفظ جميع . قال الكلبي : المعنى : نحن جميع أمرنا نتصر من أعدائنا ، فرد الله سبحانه عليهم بقوله : ﴿ سيهزم الجمع ﴾ أى جمع كفار مكة ، أو كفار العرب على العموم ، قرأ الجمهور : ﴿ سيهزم ﴾ بالتحية مبنيا للمفعول ، وقرأ ورش عن يعقوب : « ستهزم » بالنون وكسر الزاى ونصب الجمع ، وقرأ أبو حيوه وابن أبى عبله بالتحية مبنيا للفاعل ، وقرأى بالفوقية مبنيا للفاعل ﴿ ويولون الدبر ﴾ . قرأ الجمهور : ﴿ يولون ﴾ بالتحية ، وقرأ عيسى وابن أبى إسحاق وورش عن يعقوب بالفوقية على الخطاب ، والمراد بالدبر : الجنس ، وهو فى معنى الإدبار ، وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الأدبار ، وقتل رؤساء الشرك وأساطين الكفر ، فله الحمد .

﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ أى موعد عذابهم الآخروى ، وليس هذا العذاب الكائن فى الدنيا بالقتل والأسر والقهر هو تمام ما وعدوا به من العذاب ، وإنما هو مقدمة من مقدماته وظليعة من طلائعه ، ولهذا قال : ﴿ والساعة أدهى وأمر ﴾ أى وعذاب الساعة أعظم فى الضر وأقضع ، مأخوذ من الدهاء ، وهو النكر والفظاعة ، ومعنى أمر : أشد مراة من عذاب الدنيا ، يقال : دهاه أمر كذا ، أى أصابه دهاً ودهياً . ﴿ إن المجرمين فى ضلال وسعر ﴾ أى فى ذهاب عن

الحق وبعد عنه ، وقد تقدّم في هذه السورة تفسير ﴿وسعر﴾ فلا نعيده . ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ والظرف منتصب بما قبله ، أى كائون في ضلال وسعر يوم يسحبون ، أو بقول مقدّر بعده ، أى يوم يسحبون يقال لهم : ﴿ذوقوا مس سقر﴾ أى قاسوا حرّها وشدة عذابها ، وسقر علم الجهنم ، وقرأ أبو عمرو في رواية عنه إدغام سين ﴿مس﴾ فى سين ﴿سقر﴾ ﴿إنا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾ قرأ الجمهور بنصب « كل » على الاشتغال ، وقرأ أبو السمال بالرفع ، والمعنى : أن كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه ملتبسا بقدر قدره وقضاء قضاء سبق فى علمه مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه . والقدر : التقدير ، وقد قدّمنا الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى . ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ أى إلا مرة واحدة أو كلمة واحدة كلمح بالبصر فى سرعته ، واللمح : النظر على العجلة والسرعة . وفى الصحاح : لمح والمحه : إذا أبصره بنظر خفيف ، والاسم اللمحة . قال الكلبي : وما أمرنا بمجيء الساعة فى السرعة إلا كطرف البصر .

﴿ولقد أهلكنا أشياءكم﴾ أى أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الأمم . وقيل : أتباعكم وأعوانكم ﴿فهل من مدكر﴾ يتذكر ويتعظ بالمواعظ ويعلم أن ذلك حق ، فيخاف العقوبة وأن يحل به ما حلّ بالأمم السالفة ﴿وكل شيء فعلوه فى الزبر﴾ أى جميع ما فعلته الأمم من خير أو شر مكتوب فى اللوح المحفوظ . وقيل : فى كتب الحفظة ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ أى كل شيء من أعمال الخلق وأقوالهم وأفعالهم مسطور فى اللوح المحفوظ صغيره وكبيره وجليله وحقيقه ، يقال : سطر يسطر سطرًا كتب ، وأسطر مثله . ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال الأشقياء ذكر حال السعداء فقال : ﴿إن المتقين فى جنات ونهر﴾ أى فى بساطين مختلفة وجنان متنوعة وأنهار متدفقة . قرأ الجمهور : ﴿ونهر﴾ بفتح الهاء على الأفراد ، وهو جنس يشمل أنهار الجنة . وقرأ مجاهد والأعرج وأبو السمال بسكون الهاء وهما لغتان ، وقرأ أبو مجلز وأبو نهشل والأعرج وطلحة بن مصرف وقتادة : « نهر » بضم النون والهاء على الجمع ﴿فى مقعد صدق﴾ أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ، وهو الجنة ﴿عند مليك مقتدر﴾ أى قادر على ما يشاء لا يعجزه شيء ، و﴿عند﴾ هاهنا، كناية عن الكرامة وشرف المنزلة ، وقرأ عثمان البسى : « فى مقاعد صدق » .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾ يقول : ليس أكفاركم خيراً من قوم نوح وقوم لوط . وأخرج ابن أبى شيبه وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عنه فى قوله : ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ قال : كان ذلك يوم بدر قالوا : ﴿نحن جميع منتصر﴾ فنزلت هذه الآية (١) . وفى البخارى وغيره عنه أيضاً أن النبى ﷺ قال

(١) ابن أبى شيبه (١٨٥٠٩) وابن جرير ٢٧ / ٦٤ وأورده ابن حجر فى المطالب العالية (٣٧٦١) ونسبه لابن منيع ، وفيه على بن عاصم وهو ضعيف ، قاله البوصيرى .

وهو فى قبة له يوم بدر : « أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا » ،
فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله ألححت على ربك ، فخرج وهو يثب فى الدرع
ويقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ ^(١) .

وأخرج أحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذى وابن ماجة وغيرهم عن أبى هريرة قال :
جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونهم فى القدر . فنزلت : ﴿ يوم يسحبون فى النار
على وجوههم ﴾ ^(٢) ، وأخرج مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « كل شئ
بقدر حتى العجز والكيس » ^(٣) . وأخرج ابن المنذر عنه فى قوله : ﴿ وكل صغير وكبير
مستطر ﴾ قال : مستطور فى الكتاب .

(١) البخارى فى الجهاد (٢٩١٥) وفى المغازى (٣٩٥٣) وفى التفسير (٤٨٧٥ - ٤٨٧٧) والنسائى فى التفسير
(٥٧٧) . والدرع : هو قميص من حلقات من الحديد متشابكة بلبس فى الحروب .
(٢) أحمد ٢ / ٤٤٤ ، ٤٧٦ . ومسلم فى القدر (٢٦٥٦ / ١٩) والترمذى فى التفسير (٣٢٩٠) وابن ماجة
فى المقدمة (٨٣) .
(٣) مسلم فى القدر (٢٦٥٥ / ١٨) .